

التحرير والتنوير

وفعل الطن إذا عدي بالباء أشعر غالبا بطن غير صادق قال تعالى (وتطنون بآ الطنونا) وقال (وذلكم طنكم الذي طننتم بربكم أرداكم) . ومنه إطلاق الطنين على المتهم فإن أصله : طنين به فحذفت الباء ووصل الوصف وذلك أنه الطنين على المتهم فإن أصله : طنين به فحذف الباء ووصل الوصف وذلك أنه إذا عدي بالباء فالأكثر حذف مفعوله وكانت الباء للإصاق المجازي أي طن طننا ملصقا بآ أي مدعى تعلقه بآ وإنما يناسب ذلك ما ليس لائقا بآ .

. الأحزاب سورة في (الطنونا بآ وتطنون) تعالى قوله عند إليه الإشارة وتقدمت A E والمعنى : فما طنكم السيئ بآ ولما كان الطن من أفعال القلب فتعديته إلى اسم الذات دون إتباع الاسم بوصف متعينة لتقدير وصف مناسب . وقد حذف المتعلق هنا لقصد التوسع في تقدير المحذوف بكل احتمال مناسب تكثيرا للمعاني فيجوز أن تعتبر من ذات رب العالمين أوصافه . ويجوز أن يعتبر منها الكنه والحقيقة فاعتبار الوصف على الوجهين : أحدهما المعنى المشتق منه الرب وهو الربوبية وهي تبليغ الشيء إلى كماله تدريجا ورفقا فإن المخلوق محتاج إلى البقاء والإمداد وذلك يوجب أن يشكر الممد فلا يصد عن عبادة ربه فيكون التقدير : فما طنكم أن له شركاء وهو المنفرد باستحقاق الشكر المتمثل في العبادة لأنه الذي أمدكم بإنعامه .

وثانيهما : أن يعتبر فيه معنى المالكية وهي أحد معني الرب وهو مستلزم لمعنى القهر والقدرة على المملوك فيكون التقدير : فما طنكم ماذا يفعل بكم من عقاب على كفرانه وهو مالكم ومالك العالمين .

وأما جواز اعتبار حقيقة رب العالمين وكنهه . فالتقدير فيه : فما طنكم بكنه الربوبية فإنكم جاهلون الصفات التي تقتضيها وفي مقدمتها الوجدانية .

(فنظر نظرة في النجوم [88] فقال إني سقيم [89] فتولوا عنه مدبرين [90] فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون [91] ما لكم لا تنطقون [92] فراغ عليهم ضربا باليمين [95] فأقبلوا إليه يزفون [94] قال أتعبدون ما نتحنون [95] وآ خلقكم وما تعملون [96]) مفرع على جملة (إذ قال لأبيه وقومه) تفرع قصص بعطف بعضها على بعض .

والمقصود من هذه الجمل المتعاطفة بالفاءات هو الإفضاء إلى قوله (فراغ إلى آلهتهم) وأما ما قبلها فتمهيد لها وبيان كيفية تمكنه من أصنامهم وكسرها ليظهر لعبادتها عجزها . وقال ابن كثير في تفسيره " قال قتادة : والعرب تقول لمن تفكر : نظر في النجوم يعني قتادة : أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يلهيهم به " اهـ . وفي تفسير القرطبي عن الخليل

والمبرد يقال : للرجل إذا فكر في شيء يدبره : نظر في النجوم أي أنه نظر في النجوم مما جرى مجرى المثل في التعبير عن التفكير لأن المتفكر يرفع بصره إلى السماء لئلا يشتغل بالمرئيات فيخلو بفكره للتدبر فلا يكون النجوم وذكر النجوم جرى على المعروف من كلامهم . وجنح الحسن إلى تأويل معنى النجوم بالمصدر أنه نظر فيما نجم له من الرأي يعني أن النجوم مصدر نجم بمعنى ظهر .

وعن ثعلب : نظر هنا تفكر فيما نجم من كلامهم لما سألوه أن يخرج معهم إلى عيدهم ليدبر حجة .

والمعنى : ففكر في حيلة يخلو له بها بد أصنامهم فقال (إني سقيم) ليلزم مكانه ويفارقوه فلا يريهم بقاءه حول بدهم ثم يتمكن من إبطال معبوداتهم بالفعل . والوجه : أن التعقيب الذي أفادته الفاء من قوله (فنظر) تعقيب عرفي أي لكل شيء نحسبه فيفيد كلاما مطويا يشير إلى قصة إبراهيم التي قال فيها (إني سقيم) والتي تفرع عليها قوله تعالى (فراغ إلى أهله) الخ .

وتقييد النظرة بصيغة المرة في قوله (نظرة) إيماء إلى أن الله المكيده وأرشده إلى الحجة كما قال تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده) .

وقوله (إني سقيم) عذر انتحله ليتركوه فيخلو ببيت الأصنام ليخلص إليها عن كثر فلا يجد من يدفعه عن الإيقاع بها . وليس في القرآن ولا في السنة بيان لهذا لأنه غني عن البيان . وذكر المفسرون أنه اعتذر عن خروجه مع قومه من المدينة في يوم عيد يخرجون فيه فزعم أنه مريض لا يستطيع الخروج فافترض إبراهيم خروجهم ليخلو ببد الأصنام وهو الملائم لقوله (فتولوا عنه مدبرين)